الرضـــا

ح مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المنجد ، محمد صالح
الرضا ، محمد صالح المنجد - الخبر ١٤٣٠هـ
٦٤ ص ، ١٢×١٧ سم
ردمك : ٧-٠٥-٨٠٤٧-٦٠٣-٩٧٨
١- الرضا ٢- القضاء والقدر (الإسلام) أ.العنوان
ديوي : ٢١٢,٢ ١٤٣٠/٢٠٧٣

الطبعة الأولى
١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



محمد صالح المنجد

الرضــا



١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الرضا يفرغ القلب لله، ومن ملأ قلبه من الرضا، ملأ الله صدره غنى وأمنا وقناعة، وفرغ قلبه لمحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه.

والرضا ثمرة من ثمرات المحبة، وهو من أعلى مقامات المقربين، وهو باب الله الأعظم، ومستراح المتقين، وجنة الدنيا.

رضا الله عن العبد أكبر من الجنة وما فيها، لأن الرضا صفة الله، والجنة خلقه، وقد قال سبحانه: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] بعد ذكر وعده للمؤمنين بدخول الجنة.

فما معنى الرضا؟ وما مراتبه؟ وكيف السبيل إلى الوصول إليه؟ وما ثمراته؟وما الفرق بينه وبين الصبر؟وغير ذلك.

كل ذلك تجده في ثنايا هذه الرسالة **السابعة** الواقعة ضمن سلسلة أعمال القلوب التي يسر الله لي إلقاءها في دورة علمية، وشاركني في إعدادها الفريق العلمي في مجموعة زاد، وها هو اليوم يسعى لإخراجها على هيئة مادة منشورة.

ونسأل الله تعالى الرضا والقبول، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



أهمية الموضوع

عن أبي الدرداء رضي الله عنه: (ذروة الإيمان أربع: الصبر للحكم، والرضا بالقدر، والإخلاص للتوكل، والاستسلام للرب)[(١)].

قال داود الطائي-رحمه الله-: (أفضل الأعمال الرضا عن الله)[(٢)].

وقال عبد الواحد بن زيد-رحمه الله-: (ما أحسب أن شيئاً من الأعمال يتقدم الصبر إلا الرضا، ولا أعلم درجة أشرف ولا أرفع من الرضا، وهو رأس المحبة)[(٣)].

والسنة التي تركها لنا نبينا صلى الله عليه وسلم رأسها الرضا والتسليم.

قال الإمام أحمد-رحمه الله- وهو تحت المحنة: (أجمع تسعون رجلاً من التابعين وأئمة المسلمين وأئمة السلف وفقهاء الأمصار:

(١) اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٧٦).
(٢) أحكام القرآن للجصاص (١/ ١١٧).
(٣) شعب الإيمان (٤٧٥).

على أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ أولها الرضا بقضاء الله تعالى والتسليم لأمره والصبر تحت حكمه ...)[١].

والراضون عن الله هم حزب الله.

قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة:٢٢].

قال بشر بن الحارث-رحمه الله-: (من وُهِبَ له الرضا فقد بلغ أفضل الدرجات)[٢].

ومن لم يبلغها فعليه أن يسأل الله سبحانه أن يبلغه إياها.

قال الربيع بن أبي راشد-رحمه الله-: (من سأل الرضا فقد سأل أمراً عظيماً)[٣].

(١) العقيدة للإمام أحمد (٧٢).
(٢) حلية الأولياء (٨/ ٣٥٠).
(٣) حلية الأولياء (٥/ ١١٢).

تعريف الرضا

الرضا في اللغة:

(رضي) الراء والضاد والحرف المعتلّ أصلٌ واحد يدلُّ على خلاف السُّخْط. تقول رضِي يرضَى رِضىً. وهو راضٍ، ومفعوله مرضِيٌّ عنه[١].

وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ»[٢].

وقال تعالى: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ [الحاقة:٢١]، أي: مرضيةٍ ذات رضا.

والرضا: هو سكون النفس إلى الشيء، والارتياح إليه[٣].

والرضوان: هو الرضا الكثير. ولمَّا كان أعظم رضا هو

---

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٣٣٠).
(٢) رواه مسلم (٤٨٦).
(٣) إيضاح الدليل (١٤٣).

رضا الله سبحانه وتعالى خُصَّ لفظ الرضوان بما كان من الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الفتح:٢٩]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ﴾ [التوبة:٢١].

وأرضاه: أي أعطاه ما يرضى به، و ترضَّاه: أي طلب رضاه، كما قال رؤبة بن العجاج:

إِذَا العَجُوزُ غَضِبَتْ فَطَلِّقِ ... وَلاَ تَرَضَّاهَا وَلاَ تَمَلَّقِ[١]

والرضا في الاصطلاح:

قال الحارث المحاسبي-رحمه الله-: (الرضا: سكون القلب تحت جريان الحكم)[٢].

وقال بعض الحكماء: (الرضا: سكون القلب بما قسم الله عَزَّوَجَلَّ له)[٣].

---

(١) شرح الرضي على الكافية (٤/ ٢٥).
(٢) التعرف (١٠٢).
(٣) التوكل على الله (٤٦).

وقال ابن حجر -رحمه الله-: (الرضا: سكون النفس إلى القضاء)[١].

وقال بعضهم: (الرضا: ترك الخلاف على الله فيما يجريه على العبد)[٢].

وقال بعضهم: (الرضا: عدم الندم على ما فات من الدنيا وعدم التأسف عليها)[٣].

وقال عبد الله بن عبد العزيز العمري -رحمه الله-: (الرضا: الزهد)[٤].

فرضا العبد هو: أن يسلّم بما أمره الله به ونهاه عنه، ويرضى بما رضيه الله له، ولا يجزع مما يجري به قضاؤه من الأوامر والمصائب، ويسلّم لله في ذلك، ويزهد في هذه الدنيا.

---

(١) فتح الباري (١١/ ١٨٧).
(٢) شعب الإيمان (٢٢٦).
(٣) شعب الإيمان (٢٣٥).
(٤) ذم الدنيا (٣٦٤).

درجات الرضا وأحكامها

تتفاوت درجات الرضا القلبي فيما بينها، بحسب قوة إيمان العبد، وبحسب الأمر الذي دخله الرضا من العبد.

وهذه الدرجات تنقسم من جهة حكمها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الرضا الواجب.

والقسم الثاني: الرضا المستحب.

والقسم الثالث: الرضا المحرم.

أما الرضا الواجب: فهو أصل الرضا وهو في أربعة أمور، هي:

١- الرضا بالله رباً.

٢- الرضا بالإسلام ديناً.

٣- الرضا بمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بالله رَبّاً، وَبِالإِسْلاَمِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً**»[١].

(١) رواه مسلم (٣٤).

٤- الرضا بما وقع من المصائب وعدم الجزع فيها.

وأما الرضا المستحب: فهو المنازل العليا من الرضا بالأمور الأربعة السابقة.

وأما الرضا المحرم: فهو الرضا بالمعاصي والذنوب.

وسنتحدث عن هذه الأقسام بالتفصيل إن شاء الله.

القسم الأول: الرضا الواجب

الرضا الواجب هو أن يكون معه أصل الرضى بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبياً، وبالقضاء والقدر، ولا تجب مراتب الرضا العالية فيها.

فهذا هو الرضا الذي لا يتم إيمانُ عبدٍ إلا به، ومن لم يرض بأصل هذه الأنواع الأربعة أو بأحدها فقد يخرج من دائرة هذا الدين، ويصبح كافراً بالله العظيم.

والرضا بهذه الأنواع سهلٌ عند الدعوى، ولكن عند التحقيق تحتاج إلى مجاهدة وصبر وتوطين للنفس عليها.

الرضا بالله:

إن من أعظم مظاهر الرضا بالله: إفراده سبحانه بأنواع العبودية والألوهية، وتوحيده في أسمائه وصفاته.

فترضى به رباً واحداً لا شريك معه، وترضى بعبادته، وحبه، والتذلل إليه، والخضوع له، والرغبة إليه، والرهبة والخوف

منه، ورجاؤه، ولا تشرك معه أحداً في شيءٍ من ذلك كله.

وترضى بتدبيره، فتنْزل به حوائجك، وتطلب منه إصلاح دينك ودنياك.

ومن الرضا بالله رباً: أن تسخط عبادة ما دون الله، وهذا قطب رحى الإسلام، فلا ترضى بعبادة النصارى للصليب والمسيح، ولا ترضى بعبادة اليهود لعزير، ولا ترضى بعبادة الوثنيين لبوذا، ولا ترضى بعبادة الأصنام والأوثان أياً ما كانت.

وهذا الرضا محرومٌ منه غلاة الصوفية عبّادُ القبور؛ لأنهم في الحقيقة ما رضوا بالله رباً، فينْزلون حوائجهم بالأولياء والأقطاب، ويسألونهم، ويستغيثون بهم، ويتوكّلون عليهم، ويرجون منهم ما لا يقدر عليه إلا الله، ولا يقضيه إلا الله.

وهؤلاء الذين يرجون الأموات لو رضوا بالله ربا؛ لطلبوا المدد منه سبحانه، وما توكلوا إلا عليه، ولا استغاثوا إلا به.

ومن العجب دعوى هؤلاء أصحاب القبور أنهم هم أرباب القلوب، وأنهم هم المتخصصون في طب القلوب وعلاجها.

وكيف يعالج القلب من قتله بالشرك وعدم التوحيد؟!.

قال تعالى: ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [الأنعام: ١٦٤]؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما: (يعني سيداً و إلهاً، فكيف أطلب رباً غيره و هو ربُّ كل شيءٍ؟!)[١].

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأنعام: ١٤] يعني: أغير الله أتخذ معبوداً وناصراً ومُعيناً وملجأً؟!.

ومن الرضا بالله رباً: الحب في الله، والبغض في الله.

فمحبة العلماء من الرضا بالله رباً.

ومحبة الصالحين والزهاد من الرضا بالله رباً.

ومحبة القائمين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الرضا بالله رباً.

وبغض الفساق والفجار من الرضا بالله رباً.

وبغض الممثلين والمغنيين من الرضا بالله رباً.

وبغض القنوات الفضائية المفسدة والملحدة من الرضا بالله رباً.

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٨١).

الرضا بالإسلام:

الرضا بهذا الدين هو أن ترضى بما شرعه الله فيه من أحكام، فما حرّمه الله ترضى بتحريمه، وما أحلّه ترضى بتحليله، وما أوجبه ترضى بإيجابه.

قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾ [الأنعام:١١٤] أي: هل أرضى بأي حَكمٍ آخر يحكم بيني وبينكم غير دين الإسلام المتمثل في كتاب الله، وسنّة نبيه ﷺ. فترضى بإيجاب بر الوالدين، وبإيجاب الزكاة وغيرها من الواجبات، وترضى بتحريم الزنا، وبتحريم الربا وغيرها من المحرمات.

وعدم الرضا بهذا الدين كفرٌ وخروج عن الإسلام، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد:٢٨].

فقد أحبط الله عمل هؤلاء الذين لم يتبعوا ما رضيه الله، بل اتبعوا ما يسخطه، وكرهوا ما يرضاه من الأعمال الصالحة والواجبات والمأمورات.

وما أشد كذب هؤلاء الذين يقولون: رضينا بالإسلام ديناً، ثم هم بعد ذلك يتبعون القوانين الوضعية المختلفة، فتراهم يحكمون بالقانون الفرنسي، أو الإنجليزي، أو الإيطالي.

فأين الرضا بهذا الدين؟!.

أين التمسك بقوله تعالى: ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾؟! [الأنعام: ٥٧].

فالتحكيم الشرعي إنما هو لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له في ذلك.

ومن الرضا بالإسلام: موالاة المسلمين، ومعاداة الكافرين.

وهذا من أعظم مظاهر الرضا بهذا الدين، فترضى بالإسلام وتوالي من رضي به، وتكره الشرك والكفر وتعادي من رضي بهما.

ومن أبعد البُعْدِ عن الرضا بالإسلام: أن يرضى الرجل بأحوال أهل الكفر، ومعتقداتهم، وعاداتهم، ويحب نقلها إلى بلاد الإسلام، من التعري، والاختلاط، وأنواع الموسيقى، وأشكال الفساد.

ومن أشكال عدم الرضا بالإسلام: الدعوة إلى العلمانية، وفصل الدين عن الدولة.

الرضا بمحمد ﷺ:

تتمثل مظاهر الرضا بهذا النبي الكريم بأمور، منها:

محبته ﷺ: وليس الاكتفاء بمحبته فقط، بل أن يكون أحب إليك من نفسك، وزوجك، وأبيك، وأمك، وأبنائك، وأصدقائك، وأقاربك.

ومن الرضا به نبياً افتداؤه بالروح والجسد: كما فعل الصحابة رضي الله عنهم، فكان أحدهم يسد الجحر برجله خوفاً على النبي ﷺ، وآخر قاتل جيشاً كاملاً بمفرده دفاعاً عنه، وثالث يُفَضِّلُ أن يُقَطَّع جسده قطعة قطعة على أن يؤذى رسول الله ﷺ بشوكة.

ومن الرضا به نبياً عدم تمني نبوة غيره: لا كما فعله الكفار والطواغيت في عهده ﷺ حيث قالوا كما أخبر الله عنهم: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف:٣١]. فلم يرضوا بنبوته، وأرادوا أن تكون النبوة فيمن يختارونه ويرضونه.

ومن الرضا به نبياً الرضا بما شرعه الله على لسانه: من تحريم حرامٍ، أو إيجاب واجبٍ، أو إباحة مباحٍ. قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

فتحكيم الشرع وحده لا يكفي للرضا به نبياً، بل يجب أيضاً عدم وجود الحرج في النفس، ثم التسليم بذلك.

ومن الرضا به نبياً الرضا بقسمة الأموال: ككيفية توزيع أموال الصدقات، وأموال الفيء، وأموال الغنائم، ونحوها، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ [التوبة: ٥٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ**»(١).

---

(١) رواه البخاري (٢٨٨٧).

ومن الرضا به نبياً عدم الابتداع في دينه: والوقوف عند سنته، وعدم الاجتراء عليه بابتداع أمورٍ ما أنزل الله بها من سلطان.

فابتداع الموالد، وأنواع الأذكار، وطرقها، وأنواع العبادات، ليس من الرضا به نبياً.

فالزم -رحمك الله- سنة نبيك الرؤوف الرحيم، ولا تحد عنه بقول أحد وعمله، ولا تبتغِ الهدى من غيره، ولا تغتر بزخارف المبطلين وانتحالهم، ولا بآراء المتكلمين وتأويلهم، إن الرشد والهدى والفوز والرضا فيما جاء من عند الله ورسوله، لا فيما أحدثه المحدثون، وأتى به المتنطعون؛ من آرائهم المضمحلة، وعقولهم الفاسدة، وارض بكتاب الله وسنة رسوله بدلاً من قول كل قائل وزخرف كل مبطل.

الرضا بالقضاء والقدر:

الرضا الواجب بالقضاء والقدر هو ما يوازي الصبر.

وهو عدم الجزع عند المصائب والنوازل، وطمأنة القلب،

وحمد الله على كل حالٍ، ومعرفة أن ما قضاه الله وقدره إنما هو لحكمةٍ لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى.

فترضى بما قدره الله من المرض، والفقر، وضيق الحال، وسوء المعيشة، ونحو ذلك.

وترضى بما قسمه الله لك من زوجةٍ وإن كانت قليلة الجمال، وما قسمه لك من أولادٍ إن كانوا قلة، أو كانوا بناتاً فقط، أو ذكوراً فقط.

وترضى بقبيلتك وقومك الذين خلقك الله فيهم، وإن كانوا أقل شرفاً ورفعة من غيرهم.

ومما ينافي الرضا بالقضاء والقدر: شق الجيوب عند المصائب، ولطم الخدود، والنياحة على الميت.

ومما ينافي الرضا بالقضاء والقدر: مصيبة الانتحار التي فشت وتفشت بين بعض المسلمين، فكم سمعنا عن شابٍ قتل نفسه لمصيبةٍ حلت به، وكم سمعنا عن فتاةٍ أهلكت نفسها لفاجعةٍ نزلت بها.

ومما ينافي الرضا بالقضاء والقدر: التشكي والتسخط عند الناس.

ومما ينافي الرضا بالقضاء والقدر: اعتقاد ظلم الله له، وأنه هو المستحق للنعمة التي أنعمها الله على فلانٍ أو على فلان.

والرضا بالقضاء والقدر هو الذي يسميه بعض العلماء (الرضا عن الله).

والفرق بين الرضا بالله والرضا عن الله:

إن الرضا بالله: هو الرضا بربوبيته وألوهيته ووحدانيته، والرضا بإفراده بالعبادة، وأن الحكم له فقط لا لغيره، وأن نرضى بما شرع.

وهذا لا يكون إلا للمؤمنين، فالكفار ليسوا براضين بالله.

وأما الرضا عن الله: فهو أن ترضى بما قضاه وقدّره، وما أحدث من المقادير والأرزاق.

وهذا من الممكن أن يدخل فيه المؤمن والكافر، فقد تجد

مشركاً عنده رضىً بالقضاء والقدر، وقد تجد كافراً يتماسك عند المصيبة، بل يقول لك: أنا مقتنع أن هذا قضاءٌ وقدرٌ، وهناك بعض تاركي الصلاة بالكلية، عندهم إيمان بالقضاء والقدر أقوى من بعض المصلين!!.

ولابد من اجتماع الأمرين معاً في المؤمن: الرضا بالله، والرضا عن الله. مع العلم بأن الرضا بالله أعلى شأناً وأرفع قدراً؛ لأنه مختصّ بالمؤمنين.

فالرضا بالله رباً أكد الفروض باتفاق الأمّة. فمن لم يرضَ بالله رباً؛ فلا يصح له إسلامٌ ولا عملٌ.

القسم الثاني: الرضا المستحب

الرضا المستحب هو الرضا الزائد عن القدر الواجب فيما مضى.

فالرضا بالله رباً:

هو أن يرضى بالله بدلاً من كل ما سواه، وكل ما سوى الله لا عبرة به عنده، وهي درجة المقربين.

قال الفضيل بن عياض-رحمه الله-: (درجة الرضا عن الله عز وجل درجة المقربين، ليس بينهم وبين الله تعالى إلا روح وريحان)[1].

والرضا بالإسلام ديناً:

هو أن ترضى الأعمال الصالحة من الغير.

---

(١) حلية الأولياء (٨/ ٩٧).

والرضا بمحمد ﷺ نبياً:

هو أن تحب معرفة سيرته، ويكون همك التأدب بآدابه، والتحلي بأخلاقه والتأسي بما زاد عن الواجب من سنته، وتتمنى أن تكون معه في الجنة يوم القيامة.

والرضا بالقضاء والقدر:

قال ابن تيمية –رحمه الله–: (الرضا بالقضاء ثلاثة أنواعٍ:

أحدها: الرضا بالطاعات، فهذا طاعةٌ مأمور بها.

والثاني: الرضا بالمصائب، فهذا مأمورٌ به، إما مستحبٌّ، وإما واجب)[1].

فمن كلام ابن تيمية يتبين أن الرضا بالمصائب وما يقدره الله وما يقضيه ينقسم إلى قسمين: واجب، ومستحب.

أما الواجب فقد سبق الحديث عنه.

وأما المستحب: فهو الدرجة العليا من الرضا عند المصيبة،

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٨٢-٤٨٣).

والتي فيها سكينة النفس التامة، وحمد الرب سبحانه على ما أصابه من الضراء، كما يحمده عند السراء، وهذه درجة عزيزةٌ لا يصل إليها إلا قلّةٌ من المخلوقين.

قال ابن عون-رحمه الله-: (ارض بقضاء الله على ما كان من عسر ويسر، فإن ذلك أقل لهمك، وأبلغ فيما تطلب من آخرتك، واعلم أن العبد لن يصيب حقيقة الرضا حتى يكون رضاه عند الفقر والبؤس كرضاه عند الغنى والرخاء، كيف تستقضي الله في أمرك ثم تسخط إن رأيت قضاءه مخالفاً لهواك، ولعل ما هويت من ذلك لو وفق لك لكان فيه هلكتك، وترضى قضاءه إذا وافق هواك، وذلك لقلة علمك بالغيب، وكيف تستقضيه إن كنت كذلك ما أنصفت من نفسك، ولا أصبت باب الرضا)[١].

والله من رحمته لم يوجب هذه الدرجة على عباده؛ لأن أكثرهم لا يستطيعونها.

فإن قال قائل: لماذا يحمد العبدُ ربَّه على الضراء؟.

---

(١) الرضا عن الله بقضائه (٦٩).

فالجواب من وجهين:

الأول: لأنه يعلم أن الله أحسنَ كل شيءٍ خلَقه وأتقنَه، وأنه ما فعل شيئاً إلا لحكمة، فيرضى عن أفعال الله، ويحمده عليها.

الثاني: لأنه يعلم أن الله أعلم بما يصلحه وما يصلح له من نفسه، واختياره له خيرٌ من اختياره لنفسه.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عَجَبًا لِلْمُؤْمِنِ لاَ يَقْضِي الله لَهُ شَيْئًا إِلاَّ كَانَ خَيْرًا لَهُ**»[(١)].

فتحمد الله على هذا الخير الذي قدره الله لك، وإن كان قد جاءك على شكل مصيبةٍ أو فاجعة.

إذا دعا الإنسان أن يزيل الله عنه مصيبةً فهل فعله هذا منافٍ للرضا؟

زعم بعض الصوفية أن الدعاء لرفع البلاء يقدح في الرضى والتسليم.

والصحيح: أن المذموم هو التشكي إلى الناس لا التشكي

---

(١) رواه أحمد (٢٠٢٩٨)، وصححه الألباني.

إلى الله، فإذا اشتكى الإنسان ما به من ضرٍّ إلى ربه ودعاه ليكشفه فليس ذلك منافٍ للرضا والتسليم.

فأيوب عليه السلام عندما أصابه الضر دعا ربه أن يكشف العذاب عنه، وقد وصفه الله سبحانه بالصبر، فقال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ﴾ [ص:٤٤].

قال العيني-رحمه الله-: (ولقد شكا الألم والوجع النبي ﷺ وأصحابه وجماعة ممن يقتدى بهم، ولا أحد من بني آدم إلا وهو يألم من الوجع ويشتكي من المرض، إلا أن المذموم من ذلك ذكره للناس تضجراً وتسخطاً، وأما من أخبر إخوانه ليدعوا له بالشفاء والعافية، أو كان أنينه وتأوهه استراحة؛ فليس ذلك بشكوى)[1].

وقال تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة:١٦] فوصف عباده الصالحين بأنهم يدعون ربهم يريدون نعماً ودفعَ نقمٍ، فالدعاء لجلبِ منفعةٍ أو دفعِ مضرّةٍ لا يتعارض مع الرضا.

(١) عمدة القاري (٢١/ ٢٢٢).

هل التعب والتألم والحزن ينافي الرضا المستحب؟

والجواب: إن التعب من العبادة، والتألم من المصيبة، والحزن على ما أصابنا الله به من الفجائع؛ لا ينافي الرضا المستحب.

قال ابن حجر-رحمه الله-: (ظهور الحزن على الإنسان إذا أصيب بمصيبة لا يخرجه عن كونه صابراً راضياً إذا كان قلبه مطمئناً)[١].

ولنضرب لذلك مثالاً: فالمريض قد يرضى بشرب الدواء، وقلبه مطمئنٌ لأخذه، لأنه قد يعلم من تجربة الناس لهذا الدواء وإخبار الأطباء أن هذا الدواء ناجحٌ، وأنه قد شفي كثيرٌ من المرضى قبله بسببه.

ولكن مع هذا الاطمئنان والرضا بشرب الدواء إلا أنه قد يشعر بمرارته، ويقشعر بدنه من طعمه.

وهكذا المسلم الصادق، يطمئن قلبُه لربه، ويرضى بما أمره به من الواجبات، وما كتبه عليه من المصائب والفواجع، ومع ذلك فقد يحس بالتعب والألم والحزن.

---

(١) فتح الباري (٧/ ٥١٤).

فالصائم رضي بالصوم وسُرَّ به، ولكنه قد يشعر بألم الجوع.

والمجاهد المخلص في سبيل الله راضٍ بهذه الشعيرة والفريضة الإسلامية العظيمة، ومُقْدِمٌ عليها، ومع ذلك فهو يحس بالألم والتعب.

إذن فلا يشترط أن يزول الألم والتعب من الشيء إذا حصل الرضا، وإن كان بعض أصحاب المقامات العالية قد يستلذّون بالألم.

قال إبراهيم بن فاتك: (الرضا: الاستلذاذ بالبلوى)[(١)].

وقال بعضهم:

عَـذَابُـهُ فِيـكَ عَـذْبُ وَبُعْـدُهُ فِيـكَ قُـرْبُ[(٢)]

وكذلك فإن الإخبار عن هذا الألم والتعب لا ينافي الرضا بما قدره الله وقسمه؛ كما فعل موسى عليه السلام عندما أخبر غلامه أنه قد لقي من سفره النصبُ والتعب.

---

(١) شعب الإيمان (١٠٠٧٨).

(٢) جامع العلوم والحكم (١٩٥).

يقول القرطبي-رحمه الله-: (وفي هذا دليل على جواز الإخبار بما يجده الإنسان من الألم والأمراض، وأن ذلك لا يقدح في الرضا ولا في التسليم للقضاء؛ لكن إذا لم يصدر ذلك عن ضجر ولا سخط)[١].

هل الرضا يتنافى مع البكاء على الميّت؟!

عندما مات إبراهيم ابن النبي ﷺ جعلت عيناه تذرفان، وقال: «**إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرضي رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**»[٢].

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (البكاء على الميت على وجه الرحمة حسنٌ مستحبٌّ، وذلك لا ينافي الرضا، بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه، وبهذا يُعْرَف معنى قوله ﷺ لما بكى على الميت: «**هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا الله فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ الله مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**»[٣].

---

(١) تفسير القرطبي (١١/ ١٥).

(٢) رواه البخاري (١٣٠٣).

(٣) رواه البخاري (٥٦٥٥) ومسلم (٩٢٣).

والناس أربعة أقسامٍ:

١- منهم من يكون فيه صبرٌ بقسوةٍ -أي: ليس في قلبه رحمة-.

٢- ومنهم من يكون فيه رحمةٌ بجزع.

٣- و منهم من يكون فيه القسوة والجزع.

٤- والمؤمن المحمود الذي يصبر على ما يصيبه ويرحم الناس)[1].

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٧) بتصرف.

القسم الثالث: الرضا المحرم

قال ابن تيمية -رحمه الله- في أنواع الرضا بالقضاء: (والثالث: الرضا بالكفر والفسوق والعصيان، فهذا معصيةٌ.

لا يؤمر بالرضا به، بل الإنسان مأمورٌ ببغضه وسخطه، فإن الله لا يحبه ولا يرضاه)[١].

ويدل لما ذكره ابن تيمية -رحمه الله- حديث العُرس بن عميرة الكندي، عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا عُمِلَتِ الخَطِيئَةُ فِي الأَرْضِ كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَكَرِهَهَا كَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيَهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا**»[٢].

وعن الربيع بن أنس-رحمه الله- قال: (مكتوب في الكتاب الأول: من رضي أن يُعصى الله فلن يقبل الله عملَه ما دام كذلك)[٣].

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٨٢-٤٨٣).
(٢) رواه أبو داود (٤٣٤٥)، وحسنه الألباني.
(٣) الدر المنثور (٢/ ٥٧٦).

وللأسف، فكثيرٌ من الناس اليوم يرضون بالمحرمات ويوافقون عليها، وإن لم يكونوا يشاركون فيها.

فيرى الرجل الخبثَ والفساد في أهله وهو راضٍ بذلك، فيرضى لابنته أن تحادث الشباب وتخالطهم باسم الحرية، ويرضى لزوجته الخروج متبرجة بدون حجاب باسم التفتح، بل وبعضهم يرضى لابنه الشاب أن يفجر مع الخادمة تحت سمعه وبصره.

وبعض هؤلاء الذين يسمون أنفسهم بالمثقفين يرضون بأنواع الكفر تحت شعار قبول الطرف الآخر، وبعضهم يرضى بالبدعة تحت شعار التسامح والتقريب، ونحو ذلك.

وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن الرضا بحال الكفار والفساق، وبيَّن أنه لا يرضى بتلك الحال فقال: ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة:٩٦]. قال الشوكاني-رحمه الله-: (والمقصود من إخبار الله سبحانه بعدم رضاه عنهم: نهي المؤمنين عن ذلك؛ لأن الرضا على من لا يرضى الله عليه مما لا يفعله مؤمن)[١].

(١) فتح القدير (٢/ ٥٧٤).

والقاعدة الشرعية: أن الرضا بالمعصية معصيةٌ، والرضا بالكفر كفرٌ.

عن عبد الله بن شميط، عن أبيه قال: (كان يقال: من رضي بالفسق فهو من أهله، ومن رضي أن يُعصى الله عَزَّ وَجَلَّ لم يُرفع له عمل)[(١)].

وقد حَسَّنَ رَجُلٌ عند الشعبي قتل عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقال له الشعبي -رحمه الله-: (شركت في دمه). فجعل الرضا بالقتل قتلاً.

قال القرطبي -رحمه الله-: (وهذه مسألة عظمى، حيث يكون الرضا بالمعصية معصية)[(٢)].

(١) حلية الأولياء (٣/ ١٣٠).
(٢) تفسير القرطبي (٤/ ٢٨٦).

طريق الرضا

بعد أن علمنا أنواع الرضا، وأن منها ما هو واجب، ومنها ما هو مستحب، فعلينا أن نعرف كيفية الوصول إلى هذا الطريق، وكيف يمكن للعبد أن يكون من أصحاب تلك العبادة القلبية العظيمة.

وقبل أن نبين كيفية الوصول إلى طريق الرضا، نذكر خلافاً للعلماء مهماً في هذه المسألة، ألا وهو: هل الرضا شيءٌ وهبيٌ يهبه الله للإنسان؟ أم أنه كسبيٌّ يمكن للعبد أن يُحَصِّلَه بالمجاهدة ورياضة النفس؟.

إن الرضا يدخله الوهب، والكسب.

فهو كسبيٌّ باعتبار سببه، ووهبيٌّ باعتبار حقيقته.

ومعنى ذلك: أن العبد قد يكسب الرضا بإنشاء أسبابه، التي سنذكرها فيما بعد، ولكن حقيقة الرضا لا يمكن أن يُحَصِّل عليها بهذه الطريقة، بل هي هبة من الله وفضلٌ منه، يهبها من يشاء من عباده، ويحرمها من يشاء من عباده.

أسباب تحصيل الرضا:

إن العبد المؤمن متى ما عَلِم بوجوب أصل الرضا، واستحباب مراتبه العالية؛ عليه أن يسارع ليعرف كيف يحصل هذا الرضا، وما الأسباب التي توصله إلى ذلك الطريق المستقيم.

ومن تلك الأسباب:

١- **الصبر على الأذى وعلى الطاعة:** قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ [طه: ١٣٠].

٢- **دعاء الله أن يرزقه الرضا:** عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ علمه دعاء، وأمره أن يتعاهده ويتعاهد به أهله كل يوم، وفيه: «**أَسْأَلُكَ اللهُمَّ الرِّضا بَعْدَ القَضَاءِ**»[(١)].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يقول:

---

(١) الرد على الجهمية للدارمي (١١٦)، وإسناده حسن.

«اللهُمَّ أَسْأَلُكَ الصِّحَّةَ وَالعَافِيَةَ، وَالأَمَانَةَ، وَحُسْنَ الخُلُقِ، وَالرِّضا بِالقَدَرِ»[١].

٣- **معرفة الله سبحانه:** فإن علم العبد أن الله سبحانه حكيم بارٌ رحيم حصل له الرضا بما يكتبه، قال الألوسي-رحمه الله-: (المعرفة تقتضي الرضا بالقضاء، والسكون في البلاء)[٢].

وقال الفضيل-رحمه الله-: (أحق الناس بالرضا عن الله أهل المعرفة بالله)[٣].

وقال الجنيد-رحمه الله-: (الرضا على قدر قوة العلم، والرسوخ في المعرفة)[٤].

وسُئِل بعضهم: كيف السبيل إلى مقام الرضا؟ فقال: (علم القلب بأن المولى عدل في قضائه غير متهم)[٥].

---

(١) اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٥٢).
(٢) روح المعاني (١١/ ١٨٠).
(٣) حلية الأولياء (٨/ ١٠٤).
(٤) روح المعاني (٣٠/ ٢٠٦).
(٥) حلية الأولياء (١٠/ ٨٩).

٤- **التوكل على الله سبحانه:** لأن الرضا هو آخر التوكل؛ فبعدما ترسخ قدم العبد في طريق التوكل ينال الرضا، وبعد التسليم والتفويض يحصُل الرضا.

٥- **القبول بما قسمه الله له:** سُئِلَ يحيى بن معاذ: متى يبلغ العبد مقام الرضا؟

فقال: (إذا أقام نفسه على أربعةِ أصولٍ فيما يُعامِل به ربه. فيقول: إن أعطيتني قبلتُ، وإن منعتني رضيتُ، وإن تركتني عبدتُ، وإن دعوتني أجبتُ)[(١)].

قال بعضهم:

تَقَنَّعْ بِمَا يَكفِيكَ وَاسْتَعْمِلِ الرِّضَا
فَإِنَّـكَ لاَ تَـدْرِي أَتُـصْبِحُ أَمْ تُمْـسِي
فَلَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ المَالِ إِنَّـمَا
يَكونُ الغِنَى وَالفَقْرُ مِنْ قِبَلِ النَّفْسِ[(٢)]

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٧٤).
(٢) تفسير القرطبي (٥/ ٣١٩).

٦- **مجالسة الفقراء:** قال بعضهم: (من جلس مع الفقراء زاده الله الرضا بما قسمه له تعالى)[١].

٧- **تذكر الموت:** كتب عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- إلى الأوزاعي: (من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير)[٢].

٨- **علو الهمة وتزكية النفس:** فإن الإنسان متى ما علا بهمته وسما بها، وأراد لنفسه أن تزكو وتتطهر من أدرانها، وصل إلى طريق الرضا.

٩- **توطين النفس على كل ما يَرِدُ عليها من الله تعالى:** ويسهُل ذلك على العبد إذا عرف ضعفه وقوة ربه، وجهله وعِلْم ربه، وعجزه وقدرة ربه، وأن الله رحيمٌ شفيقٌ بارّ به.

فقد يكتب الله الموت على ولدك ولا تعلم الحكمة في ذلك، بل تسلم وترضى وتعلم أنه حكيم عليم، ولعل ابنك هذا إن عاش كان فاجراً أو عاقاً أو مفسداً.

---

(١) البرهان المؤيد (١٠٩).
(٢) الصمت (٣٥).

وقد يكتب الله عليك ترك الوظيفة ولا تعلم الحكمة من وراء ذلك، فتسلم وترضى، ولعلَّ الله أراد أن يكتب لك وظيفة تكون أكثر رزقاً وبركة عليك.

وهذا معلوم من التجربة ومطالعة أحوال الناس.

فإذا اعترف العبد بجهله وآمن بعلم ربه، وأن اختياره له أولى وأفضل وأحسن من اختياره لنفسه؛ وصل إلى الرضا.

١٠- **التفكر القلبِي**: إن التفكر القلبي وسيلةٌ من وسائل الوصول إلى رضا الله سبحانه، فإذا تأمل العبد كيف جعله الله ضعيفاً ومنحه الإيمان، وكيف جعل أقواماً أقوياء جبارين وحرمهم من تلك النعمة ثم أهلكهم؛ تبين له مدى النعمة التي أنعمها الله عليه.

وإذا تأمل فقره وأن هذا الفقر جعله لا يتطلع إلى أنواع الفسوق والعصيان، وكيف أن الله قد رزق أناساً الأموال الطائلة ففسدوا وأفسدوا؛ عرف مقدار نعمة الله عليه ورضي بها. وهكذا.

الفرق بين الرضا والصبر

مقام الرضا أعلى من مقام الصبر؛ لأن الراضي لا يتمنى غير حاله التي هو عليها، فهو قد رضي بما قسمه الله له.

أما الصابر فهو لا يجزع بما قسمه الله ولا يصدر عنه ما يخالف الشرع، ولكنه يتمنى أن ينتقل إلى حالٍ أفضل من الحال التي هو عليها.

مات ابن رجل فحضره عمر بن عبدالعزيز-رحمه الله- فكان الرجل حسن العزاء، فقال رجل من القوم: هذا والله الرضا. فقال عمر بن عبدالعزيز: أو الصبر!![1].

وأيضاً فإن الرضا يلازم العبد في جميع أحواله التي هو عليها، سواء حلت به نعمة أو مصيبة.

أما الصبر فإنما يفعله العبد عند المصائب والمشاق.

---

(١) حلية الأولياء (٨/ ٢٧٧).

فإن استطاع المسلم أن يعمل لله تعالى بالرضا في النفس فليفعل، فإن لم يستطع فعليه بالصبر فإن فيه خيراً كثيراً.

ولذلك كان العلماء العباد الزهاد يحرصون على مقام الرضا أكثر من حرصهم على مقام الصبر؛ لأنه أرفع مقاماً.

قال أبو عبد الله النباجي –رحمه الله–: (إن لله عز وجل عباداً يستحيون من الصبر يسلكون مسلك الرضا)[١].

---

(١) تاريخ دمشق (٢١/ ١٧).

ثمرات الرضا

إن للرضا ثمراتٍ كثيرةً، منها:

دخول الجنة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ رَضِيَ بِالله رَبّاً، وَبِالإِسْلاَمِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيّاً؛ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ**» فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها علي يا رسول الله، ففعل[١].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (من رضي بما أنزل الله من السماء إلى الأرض دخل الجنة إن شاء الله)[٢].

غفران الذنوب:

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال:

---

(١) رواه مسلم (١٨٨٤).
(٢) حلية الأولياء (٩/ ٢٤٩).

«مَنْ قَالَ حِيْنَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبّاً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبِالإِسْلاَمِ دِيناً؛ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ»[(١)].

إرضاء الله سبحانه للراضي يوم القيامة:

عن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَقُولُ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ: رَضِيتُ بِاللهِ رَبّاً، وَبِالإِسْلاَمِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيّاً؛ إِلاَّ كَانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يُرْضِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(٢)].

حصول البركة في الرزق:

عن أبي العلاء بن الشخير قال: حدثني أحد بني سليم ولا أحسبه إلا قد رأى رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَبْتَلِي عَبْدَهُ بِمَا أَعْطَاهُ، فَمَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بَارَكَ اللهُ لَهُ فِيهِ وَوَسَّعَهُ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ لَمْ يُبَارِكْ لَهُ»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم (٣٨٦).

(٢) رواه أحمد (١٨٩٨٨)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٣) رواه أحمد (٢٠٢٩٤) وصححه الألباني.

حصول الرَّوْح والفرج وطيب العيش:

قال أكثم بن صيفي -رحمه الله-: (من رضي بالقسم طابت معيشته، ومن قنع بما هو فيه قرت عينه)[١].

الرضا بالله هو باب الله الأعظم لجنة الدنيا، ومُسْتَرَاح العارفين، وحياة المحبين، ونعيم العابدين.

فالرضا يخلّص من الهمّ والغمّ والحزن وشتات القلب وكسف البال وسوء الحال، والرضا يوجب طمأنينة القلب وبَرْده وسكونه وقراره، بعكس السخط الذي يؤدي إلى اضطراب القلب وريبته وانزعاجه وعدم قراره.

والرضا يُنْزِل على قلب العبد سكينةً لا تتنَزّل عليه بغيره ولا أنفع له منها؛ لأنه متى ما نزلت على قلب العبد السكينةُ استقام وصلُحت أحواله وصلُح باله، وكان في أمنٍ ودَعَةٍ وطيبِ عيشٍ.

قال بعضهم: (العيش الحسن: هو الرضا بالميسور، والصبر على المقدور)[٢].

---

(١) القناعة والعفاف (١٣١).

(٢) تفسير البغوي (١٥٩).

قال بعضهم:

وَمَنْ يَجْعَلِ الرَّحْمَنُ فِي قَلْبِهِ الرِّضَا
يَعِشْ فِي غِنىً مِنْ طَيِّبِ العَيْشِ وَاسِعُ[(١)]

الحصول على رضا الله سبحانه وتعالى:

رضا الله عز وجل عن العبد إنما هو ثمرة رضا العبد عن الرب سبحانه، فإذا رضيت بالله؛ رضي الله عنك.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رضِيَ فَلَـهُ الرِّضا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**»[(٢)].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: (إن الله إذا قضى قضاءً أحبَّ أن يُرضى به من قِبَل العباد)[(٣)].

ورضا الله عن العبد خيرٌ من الجنة وما فيها، قال تعالى:

(١) تاريخ ابن معين (٤/ ٤٠٦).
(٢) رواه الترمذي (٢٣٩٦) وحسنه.
(٣) الرضا لابن أبي الدنيا (٤٧).

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:٧٢].

حصول تمام العبودية:

فإن الرضا بالله من تمام العبودية له، فإن العبودية لا تتم إلا بالرضا، والمحبة، والخضوع، والتذلل، وغير ذلك، وهو مؤدٍ إلى الفرح والسرور بالله تبارك وتعالى وبما قضاه وقدره.

تخليص العبد من معارضة الله في أحكامه وقضائه:

كان من وصية بعض السلف لابنه: (يا بني، اقبل وصيتي واحفظ مقالتي؛ فإنك إن حفظتها تعيش سعيداً، وتموت حميداً. يا بني، من رضي بما قسم له استغنى، ومن مد عينه إلى ما في يد غيره مات فقيراً، ومن لم يرض بما قسمه الله له اتهم الله في قضائه)[1].

(١) حلية الأولياء (٣/ ١٩٥).

فهذا إبليس لما أُمِر بالسجود عصى؛ لأنه لم يرضَ بما أمره الله به، فقال: كيف أسجد لبشرٍ خلقتَه من ترابٍ؟. فعدم رضاه أدى به إلى معارضة أحكام الله.

وهؤلاء منافقو عصرنا الآن لا يرضون بحكم الله في الربا والحجاب وتعدّد الزوجات، وهم في كل مقالاتهم المكتوبة والملفوظة في مخاصمةٍ مع الرب سبحانه!!، كأنهم يقولون: لماذا فرضتَ علينا كذا؟ ولماذا أوجبت علينا كذا؟ وهم وإن لم يبوحوا بهذا صراحة، ولكن كلامهم يدور على مخاصمة الرب في شرعه!.

فالرضا يخلّص الإنسان من هذه المخاصمة.

الإشعار بعدل الرب:

لذلك أمرنا ﷺ أن نقول إذا أصابنا هم أو حزن: «**اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ**»[(١)] والذي لا يشعر بعدل الرب فهو جائرٌ ظالمٌ.

---

(١) رواه أحمد (٣٧١٢)، وصححه الألباني.

وعدل الله موجود في كل شيء، حتى في العقوبات، فقطع يد السارق عدلٌ لأنه عقوبةٌ على ما اقترفته يداه.

فالله عدْل في قضائه، وعدل في عقوباته، فلا يُعْتَرَض عليه لا في قضائه ولا في عقوباته.

شكره سبحانه:

من أهم ثمرات الرضا: الشكر.

فصاحب السخط لا يشكر؛ لأنه يشعر أنه مغبونٌ، وحقّه منقوصٌ، وحظّه مبخوسٌ! وقد يرى أنه لا نعمة عليه أصلاً!.

فالسخط نتيجته كفران المنعم والنعم، والرضا نتيجته شكران المنعم والنعم.

تهوين المصائب:

قال بعضهم:

عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ وَالصَّبْرِ وَالرِّضَا
بِمَقْدُورِ رَبِّي تُكفَ مَا أَنْتَ رَاهِبُ

وَإِنَّكَ إِنْ عَوَّدتَ نَفْسَكَ بِالرِّضَا
بِمَقْدُورِهِ هَانَتْ عَلَيْكَ المَصَائِبُ[(١)]

الوقاية من الحسد والحقد:

الرضا يفتح باب السلامة من الغشّ والحقد والحسد؛ لأن المرء إذا لم يرضَ بقسمة الله سيبقى ينظر إلى نعمة فلانٍ، وهناء فلانٍ، فيبقى حاسداً لغيره على الدوام، ومتمنٍّ زوال النعمة عن الآخرين، والسخط هو الذي يُدْخِلُ صاحبه هذا الباب.

التيقن من حكمة الله سبحانه:

قد يوسوس الشيطان للإنسان الساخط على أقدار الله، فيقول له: ما الحكمة من هذا؟ وما الحكمة في هذا؟

أما الرضا فيجعل الإنسان واثقاً من حكمة الله وعلمه، مستسلماً لأمره وقَدَرِه. لذلك فإن (الرضا واليقين) أخوان مصطحبان، و (السخط والشكّ) توأمان متلاصقان!!.

---

(١) نشر طي التعريف (١٥٧).

سبق العاملين والطائعين:

إن الرضا عملٌ قلبي من أرفع أعمال القلوب وأعظمها شأناً، وقد يبلغ العبد بهذا العمل منْزلة تسبق منازل من أتعب بدنه وجوارحه في العمل؛ مع أن عمله أقل من عملهم.

ولذلك يقول ابن القيّم -رحمه الله-: (فطريق الرضا والمحبة تُسَيِّرُ العبدَ وهو مستلقٍ على فراشه؛ فيصبح أمام الركب بمراحل)[1].

وهذا مما يميز أعمال القلوب بوجهٍ عام عن غيرها من أعمال الجوارح؛ فإن التفكر والتأمل قد ينال العبدُ عليهما أجراً عظيماً وإن كان جالساً على فراشه مرتاحاً، بعكس عمل الجوارح التي لابد فيها من العمل والمجاهدة.

ولا يعني هذا أن يقعد الرجل عن العمل أبداً، فلا يصلي، ولا يزكي، ولا يصوم، ولا يحج، ويدعي مع هذا أن العبادةَ عملٌ قلبي، وأنه بمحبة الله والرضا عنه قد استغنى عن عمل الجوارح.

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٧٦).

فهذا ضلال عظيم، وباب فتنة كبير، دخل منه إبليس على قلوب بعض الناس، فزادهم ضلالاً إلى ضلالهم، وكفراً إلى كفرهم، ولو صدق ما ادعوه لظهرت آثار الأعمال القلبية على جوارحهم.

مضاعفة الثواب:

أعمال القلوب الصالحة لها شأن عظيم في مضاعفة الثواب؛ لأن أجرها لا ينقطع وليس لها حدٌّ، بخلاف ثواب أعمال الجوارح التي لها حدٌّ معين.

فإذا صلى الإنسان لربه فإن ثواب تلك الصلاة ينقطع بانتهائه منها، بعكس الرضا الذي لا يتوقف ثوابه، فإذا كان الإنسان يفكر بذهنه وقلبه أنه راضٍ عن الله وعن قضائه، ثم عرضت له مسألةٌ حسابيّةٌ -مثلاً- فإن أجر الرضا لا ينقطع وإن شُغِل الذهن بشيءٍ ثانٍ؛ لأن أصله موجودٌ.

وكذلك الخوف من الله لا ينقطع أجره بالانشغال بشيء آخر، فلو كان الإنسان يبكي من خشية الله ثم عرض له عارضٌ شغله عن البكاء، فإن أجر البكاء والخشية والخوف من الله لا

يزال مستمراً؛ لأنه عملٌ قلبيٌّ مركوزٌ في الداخل، وهذا من عجائب أعمال القلوب.

الحصول على العزة وغنى النفس:

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران:٢٦]، قال بعضهم في تفسير الآية: (تُعِزُّ بالقناعة والرضا، وتُذِلُّ بالحرص والطمع)[١].

وقال الرامهرمزي-رحمه الله-: (من أخذ من الدنيا شيئاً على طريق الاقتصاد والرضى بالقسم حيا بعز القناعة وغنى النفس حياة طيبة، ومن طمح بصره إلى كل ما يرى من المتاع بها فهو في منْزلة البهيمة التي تأكل فتمتلىء، فتديره في فمها، ثم تعاود الأكل، لا تعرف غير هذه الحال)[٢].

(١) روح المعاني (٣/ ١١٤).
(٢) أمثال الحديث (٤٨).

وقال ابن حجر -رحمه الله-: (غنى النفس إنما ينشأ عن الرضا بقضاء الله تعالى والتسليم لأمره)[(١)].

والخلاصة: أن الرضا سبب للخير كله:

كتب عمر بن الخطاب لأبي موسى رضي الله عنهما: (أما بعد: فإن الخير كله في الرضا، فإن استطعتَ أن ترضى وإلا فاصبر)[(٢)].

(١) فتح الباري (١١/ ٢٧٢).
(٢) الفتاوى الكبرى (٢/ ٣٩٠).

الفرق بين الرضا وبين الخوف والرجاء

إن الرضا لا يفارق أصحابه الملتزمين به؛ لا في الدنيا، ولا في البرزخ، ولا يوم القيامة، ولا في الجنة.

لأنهم يرضون عن الله سبحانه في دنياهم.

ويرضون عنه في قبورهم.

ويرضون عنه عند دخول الجنة، نسأل الله من فضله.

أما الخوف والرجاء فإن أصحابهما قد يخافون عذاب الله ويرجون رحمته في دنياهم.

وفي البرزخ يرجون الله أن يقيمَ الساعة ليدخلوا الجنة إن كانوا من أهلها.

كما أنهم يخافون الله عند الوقوف بين يديه، ويرجون أن يرحمهم ويخلصهم من هذا الموقف.

فإذا دخلوا الجنة لم يعد هناك خوفٌ أبداً؛ لأن أهل الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

كما أنهم لا يرجون مثل رجاء الدنيا.

فهذا هو الفرق بين هذه المقامات القلبية الثلاثة.

والآيات الدالة على رضا أهل الجنة كثيرة، فالله يرضي أهل الإيمان والدين الذين ضحَّوا في سبيله، يرضيهم يوم القيامة ويعطيهم حتى يأخذوا كل ما كانوا يرجونه وزيادة، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [الحج:٥٨-٥٩].

ويوم القيامة ستكون العيشة الراضية عاقبة أهل اليمين، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ١٩-٢١].

وقال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾ [الغاشية: ٨-٩].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ [الفجر:٢٧-٢٨].

وقال تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ [الليل:١٧-٢١].

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ [القارعة:٦-٧].

والله سبحانه وتعالى أعلم.

الخاتمة

فمما سبق ذكره يؤكد لنا أن الرضا من أهم الأعمال القلبية التي يُتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى.

قال الإمام أحمد -رحمه الله-: (إن لكل شيء كَرْماً، وكَرْم القلوب الرضا عن الله عز وجل)[1].

والرضا درجة عزيزة لا يصل إليها إلا أقل الناس.

قال شعيب بن حرب-رحمه الله-: (ليس في الخلق شيءٌ أقل من الرضا والخوف)[2].

والرضا هو طريق الهدى، وسبيل أهل التقوى، ومذهب من شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه؛ فهو يؤمن بالقدر كله خيره وشره، وأنه واقع وبمقدور الله جرى، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

---

(١) تاريخ دمشق (٥/ ٣٠٨).

(٢) الرضا عن الله بقضائه (١٠٧).

قال إسحاق-رحمه الله-: حضرت رجلا عند أبي عبد الله أحمد بن حنبل وهو يسأله، فجعل الرجل يقول: يا أبا عبد الله، رأس الأمر وجماع المسلم على الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، والتسليم لأمر الله، والرضا بقضاء الله؟ قال أبو عبد الله: نعم[(١)].

فلتقم نفسك على الرضا، لعلك تنال بذلك فلاح الدنيا والآخرة.

يقول المرندي:

وَنُعَوِّدُ الصَّبْـرَ الجَمِيلَ نُفُوسَنَا
إِنَّ الرِّضَـا بِقَضَائِـهِ أَوْلَـى لَهَـا

نسأل الله أن يرزقنا عملا صالحا يرضيه عنا، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الإبانة (٢/ ٢٦٢).

اختبر فهمك

فيما يلي مستويان من الأسئلة حول الموضوع، أسئلة حلولها مباشرة، وهي أسئلة المستوى الأول.

وأسئلة تحتاج إلى بحث وتأمل وهي أسئلة المستوى الثاني.

أسئلة المستوى الأول (المباشرة)

١- اذكر درجات الرضا من جهة حكمها.

٢- ما معنى الرضا بالله ربا؟

٣- ما معنى الرضا بالإسلام دينا؟

٤- تتمثل مظاهر الرضا بمحمد ﷺ نبيا في أمور، اذكر ثلاثا منها.

٥- هل الرضا يتنافى مع البكاء على الميت؟

٦- اذكر أربعا من أسباب تحصيل الرضا.

٧- ما الفرق بين الرضا والصبر؟

٨- اذكر أربعا من ثمرات الرضا.

٩- اذكر صورا من الأمور التي تنافي الرضا بالقضاء والقدر.

١٠- ما الدعاء الذي علمه النبي ﷺ لزيد بن ثابت رضي الله عنه في باب الرضا.

أسئلة المستوى الثاني (الاستنباطية)

١- ما الفرق بين الرضا بالله والرضا عن الله؟

٢- اذكر بعضا من الأسباب التي تعين على تحصيل الرضا، غير ما ذكر في الكتيب.

٣- كيف تكون مجالسة الفقراء سبباً من أسباب تحصيل الرضا؟

٤- هل الرضا شيء وهبي يهبه الله للإنسان، أم هو كسبي يمكن للعبد أن يُحَصِّلَه بالمجاهدة ورياضة النفس؟.

٥- اشرح مقولة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: (أما بعد: فإن الخير كله في الرضا فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر).

٦- ما الفرق بين الرضا وبين الخوف والرجاء؟

المُحتَويات